اثر العشرية السوداء في الرواية الجزائر

د. فاطمة قاسمي

جامعة أدرار

إنّ مسار نشأة الراوية الجزائرية تأثرت بالعديد من الأحداث والتحولات النوعية ، وبالطبع كل حادث لابد أن يترك بصمته على الوجه ويترك أثره على الجبين وقد تأثر الأدب والنقد بكل ذلك ،وقد تم عقد علاقة جدلية بين الحركة الأدبية وأرض الجزائر .

Résumé:

L'émergence du chemin du narrateur algérien influencé par un grand nombre des événements et des transitions de qualité, et bien sûr, chaque incident doit laisser sa marque sur le visage et laisse son impact sur le front a été influencée par la littérature et la critique de tous, il a eu lieu la relation dialectique entre le mouvement littéraire et la terre d'Algérie.

مقدمة :

لقد عاشت كغيرها من الكتابات الروائية في الجزائر الارهاصات، ثم عاشت التحول والتقدم والتغير ، وهذا شيء صحي في الحركة الأدبية في الجزائر وبالتالي هو ظاهرة صحية .

وهذا مايقول في أثره جاكبسون: الأنق اللامنتظر، أي الأنق الروائي في الجزائر الذي يطالعنا بالجديد.

وقد شكلت الموضوع في ذهني ، فانصاعت لي الفكرة وقد تفتقت عن جدلية وطرح فكري، هو هاته الحركة الأدبية والروائية في الجزائر ،كانت لها سلبيات وإيجابيات وكل هذا معروف .

فهل يا ترى عرفت كيف تستفيد الرواية في الجزائر من الحراك في الدفع بالعجلة الأدبية في الجزائر ؟

ما الذي يترقب الحركة الأدبية في الجزائر بأنها محل ثورة ثم الإرهاب ثم ....؟

ما تأثير كل هذا في الوعي والنضج والفكر الروائي ؟

أما المنهج الذي اتبعته هو المنهج الوصفي باآلية التحليل ، وهو المنهج الذي وجدته ميسوراً لأنه أعنني في توصيف الظاهرة الأدبية وهي الحركة في الجزائر ومن ثم الوصول الى نتائج عن طريق التحليل .

ومن مبررات وأسباب التي دفعتني الى اختيار الموضوع دون غيره من الموضوعات، وهو ان الحركة الأدبية والروائية في الجزائر تتميز بالأسلوبية والفنية والجمالية والشعرية، ولكن هناك عزوف للدراسات النقدية عن هاته الروايات .

أما أهمية الموضوع تتجلى في كون صناعة الرواية جزء من التاريخ .

كما أهدف من خلال دراستي للموضوع هو جعل الموضوع أكثر عمقاً وليس قتله بالسطحية، وذلك بالوقوف على الفكر الروائي والتجربة الجزائرية في هاته الحركة ومعالمها، ومحاولة رسم ملامحها وتقاسيمها وجذور هذه التجربة في الجزائر .



والخطة التي سرت على خطاها كالأتي:

القسم الأول: الإرهاصات الأولى في الرواية الجزائرية.

وقد تحدثة فيه عن الإرهاصات الأولى للرواية في الجزائر ، ابتداء من أول رواية.

والقسم الثاني: كان عن العشرية السوداء التي تخصصت بها الرواية الجزائرية وأثرت بدورها على هذا النص ايضاً.

1 : الإرهاصات الأولى في الرواية الجزائرية .

لقد بدأت الرواية الجزائرية بديات قديمة وواغلة في التاريخ وهذا ما يعكس التفرد والتميز والعمق والبعد عن السطحية الذي اتسمت به الرواية الجزائرية .

لقد كانت أول رواية عربية في الأدب الجزائري تنحو نحوا روائيا هي"حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لصاحبه محمد بن إبراهيم سنة 1849م.(1)

وأيضاً: "غادة أم القرى" سنة 1947م لـ أحمد رضا حوحو،و" الطالب المنكوب "سنة 1951م لـ عبد المجيد الشافعي،و"الحريق" سنة 1957م لـ محمد ديب، و"صوت الغرام" سنة 1967م لـ محمد منيع،إلاّ أن البداية الفنية التي يمكن أن نؤرخ في ضوئها لزمن تأسيس الرواية في الأدب الجزائري فقد اقترنت بظهور نص "ريح الجنوب" سنة 1971م لـ عبد الحميد بن هدوقة.(2)

ويكفي هذه الكتابات شرف المحاولة و التفكير القصصي و لكل بداية جوانب و قصور لا يمكن الفرار منها و الهروب من الواقع، فالكتابة الإبداعية و النقدية كلاها صعب يحتاجان للمران و الدربة، و المراس و الكتاب دون ملل أو كلل.

---

[1] ينظر ،في الأدب الجزائري الحديث ــ تاريخا وانوعا وقضايا واعلام ــ عمر بن قينة : ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر ،د ط ، 1995،ص.197 . 198

[2] ينظر ، سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية ، بن جمعة بوشوشة : المطبعة المغاربية للطباعة والنشر ، تونس ،ط 1،2005،ص7.

2 : الرواية الجزائرية وتعاملها مع العشرية السوداء .

وبالتأكيد إنّ ظاهرة الإرهاب ليس حدثا بسيطا في حياة المجتمع، "وقد لا يقاس بالمدة التي يستغرقها ولابعدد الجرائم التي يقترفها بل بفظاعتها و درجة و حشيتها، وعندما يتعلق الأمر بالجزائر فإن الإرهاب تقاس خطورته بتلك المقاييس جميعا، إذ استغرق مدة غير قصيرة لكن انشغال الناس به في سعيهم اليومي و أرقهم الليلي لم يمنع بعض الكتاب من تسجيله بل إن ثقله هو الذي يفرض على الكاتب حالة من الحضور يصعب عليه أن يتنصل منه". [1]

يرى عبد الحميد هيمة بأن أسباب الكتابة في أدب المأساة ترجع إلى عدة أمور: [2]

– والحق أن الكتابة عن موضوع المأساة الوطنية في الرواية الجزائرية مغامرة فيها الكثير من الجرأة لما يشوب الموضوع من غموض وعدم وضوح .

– صعوبة مواجهة الذات على مستوى الممارسة النقدية أي صعوبة أن يكون القارئ والمقروء ، الملاحظ و الملاحظ في نفس الوقت .

– إن جل المتابعات التي تناولت المأساة الوطنية لم ترتق إلى مساءلة الظاهرة في مجملها وإنما كانت متابعة جزئية خاصة بنص واحد أو نصيين في أحسن الظروف.

– التهمة التي التصقت بالأعمال التي عالجت الأزمة حيث أطلق عليها ، اسم الأدب الإستعجالي.

---

[1] أثر الإرهاب في الرواية ، مخلوف عامر : مجلة عالم الفكر ، المجلد 22 ، العدد الأول سبتمبر ، د ط ، 1999 ، ص 304

[2] ينظر ، عبد الحميد هيمة ، مقال المأساة الوطنية في الرواية الجزائرية ، قراءة في نماذج من الرواية الجزائرية الجديدة ،مجلة العلوم الانسانية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد 29.

وارى بأن أدب المحنة هو واحد من خصوصيات الأدب الجزائري ، لأنه هو وحده الشعب الجزائري الذي عانى من هاته الكارثة والتي هي الإرهاب ، وهي ظاهرة أثرت فيه من جهة أخرى.

إذن ثمة تطابق فني وفكري في العنوان ،وبقدر ما تعدد السراديب تتعدد معها لتساؤلات المحيرة المقلقة وهي تارة تتخذ أبعادا نفسية ، اجتماعية وتارة تتخذ أبعاداً تاريخية سياسية (1)

وأرى أن رواية الشمعة والدهاليز هي التي وضحت ما عنته الجزائر في العشرية السوداء وهذا ما يوضحه لنا عنوان الرواية " ثمة تطابق فني وفكري بين العنوان الروائي والمتن الروائي الذي وضعه المؤلف الطاهر وطار، فالشمعة هي العنصر الوضاء الذي ينير الدرب للإنسان ويزيح عنه كابوس الظلام ويبعث التفاؤل في نفسية المتلقي أما الدهليز فهو كلمة فارسية وتعني المسلك الضيق الطويل المظلم (جمع دهاليز) ، وقد استخدمه الروائي للتعبير عن شدة الظلام وكثرة الدروب الملتوية وبعث الرهبة والخوف والرعب في نفسية الإنسان" .(2)

إن مؤثر الإرهاب الذي أفادت واستفادت منه الرواية الجزائرية كاغيرها ، لابد من ان يتأثر بهذه الظاهرة لأنه مرهف الحس وذلك الحس هو الذي وفر له الإمكانيات من اجل تبليغ رسالته الروائية .

واسيني الأعرج وضع في ذهنه المحنة وظاهرة الإرهاب" وتكاد تجمع هذه الروايات على إدانة السلطة في تغذية العنف من خلال سياستها الاقتصادية والتربوية والاجتماعية، ونتيجة فشل المشروع الاشتراكي مثلما ورد في الشمعة والدهاليز ".(3)

[1] ينظر ، الرواية والتحولات في الجزائر، مخلوف عامر، منشورات اتحاد كتاب العرب الجزائريين، دمشق 2000، ص 09.

[2] الصراع بين الحداثة والتقاليد في رواية الشمعة والدهاليز، الطاهر وطار ، عبد الناصر مباركية، وزارة الثقافة والاتصال الجزائر 2000 ص 241.

[3] المتخيل في الرواية الجزائرية ، آمنة بلعلى، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع ، 2000، ص 78.

ولقد كتب أيضاً عن الموضوع: " يعدهم ورثة بني كلبون أولئك الذين حكموا البلاد والعباد ردحا من الزمن باسم الثورة و الشرعية التاريخية لكنهم في الواقع العملي تنكروا لدماء الشهداء وعاثوا في البلاد فسادا فعبدوا بذلك الطريق لحراس النوايا ليأخذوها لقمة جاهزة " [1]

وقد أضاف أيضاً الروائي واسيني الأعرج" ماذا بقي منك الآن يا مريم ؟ تنامين داخل برادات الموت وحيدة بعد أن نزعت الرصاصة الطائشة روحك في ذلك المشفى البارد القاسي " [2]

ولذا يرى غاستون باشلار" إن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفتقد خصوصيته وبالتالي أصالته " [3]

ورأي الشخصي في هاتين الروايتين يتلخص في أن توظيف الكاتبين للمكان بشكل طاغ جدا فالمكان في هاتين الروايتين وهو يتضمن الروايتين حضورا قويا لعنصر المكان، فقد تجاوز المكان وظيفته الأساسية، وأصبح عنصرا مهما من عناصر البناء الفني والتشكيل الجسمي للرواية وتشكل الأحداث، ولم يعتمد السارد في نقل المكان على مجرد وصف فقط، وإنما قدم لنا المكان من بؤرته الخاصة ونظرته الفنية والبنائية المتخصصة ،كأنه يسعى إلى إثارة وخلخلة المألوف، والاصطدام بالترسبات وهزها، ونفض الغبار عنها، والاصطدام بالأفق اللامنتظر كما يقول جاكبسون .

وبالتالي أستطيع القول إن المكان حمل قيما مختلفة بالطبع ، وكمثال على ذلك فضاء المدينة وهو المكان الذي تدور في هذه الراويات وهو يغدو كيانا اجتماعيا يمثل خلاصة تجارب الإنسان ومجتمعه يحمل بعضا من سلوك ووعي ساكنيه.

---

1 الرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، الشريف حبيلة ، ص 24.

2 سيدة المقام ، واسيني الاعرج، دار الفضاء الحر، الجزائر، 2001 ، ص 213.

3 جماليات المكان، غاستون باشلار، تر . غالب هلسا، المؤسسة الجامعية لدار النشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1987 ص 31.



ويقول (غاستون باشلار) " إن المكان الذي ينجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى كانا لامبالياً ذا أبعاد هندسية وحسب ، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط ، بل بكل مافي الخيال من تميز ، إننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود" [1].

كما الشخوص تمارس الأمكنة الإحساس والشعور ، فهي تعيش وتقوم بأفعال عدة، قامت بأدوار الأبطال ، تحزن وتفرح ، تكون مكانا للفرح ومكانا للحزن، تكون مكانا للقتل والشر يحصد فيها الموت أرواح الأبرياء وتتحول الأمكنة أحيانا إلى فضاءات للدهاليز ، وللرثاء ،والبكاء ، وللحزن وللموت والقتل والظلم والظلمات والقهر، وهناك عنصر مهم هو الشخصيات التي لها أدوار ووظائف مهمة في النص الروائي.

وكذلك اللغة هي السحر المتجدد عبر التاريخ ليصنع لنا بها الروائي خيوطاً لهاته الشعرية المنفردة والجمال الأخاذ والتي من خلالها يتبين لنا الفضاء والشخوص والسرد المتقن.

حتى البيت أضحى وبات وأمسى وما فتئ ينفك مكانا للرعب لأنه لا يوفر مكانا لساكنيه الأمن والسلام ويقول في رواية الشمعة والدهاليز: " لم يكن قد انتهى من ارتداء جبته بعد خروجه من الحمام وينتهي من التساؤل حتى كانوا قد دخلوا ، كسروا الباب حطموه ودخلوا، كانوا سبعة ملثمين، فلا يبدو من وجوههم إلا أعينهم ، في أياديهم رشاشات، وفي أحزمتهم سيوف، دفعوه إلى غرفة النوم وأمروه بالوقوف، جلسوا هم وأعلنوا بصوت واحد محكمة " [2].

---

[1] جماليات المكان ، غاستون باشلار، ص31.
[2] الشمعة والدهاليز ، الطاهر وطار ، منشورات التبين الجاحظية، الجزائر ،1995 ، ص 189.

إن المكان في هذه الرواية له دور في جعل الوصف يبدوا أكثر أناقة وله دورا في جعل الرواية تبدوا أكثر جاذبية وهذا ما نجده مثلاً في رواية الشمعة والدهاليز حيث يفاجئ البطل بأشخاص ملثمين يقتحمون بيته ويحاكموه وينتهي الأمر بقتله هذه الفاجعة التي ترعب وتزرع الخوف .

وبشكل طاغ وبدلالات مشحونة ومكثفة تحضر السيدة المدينة وبقوة وطغيان وهذا في رواية سيدة المقام، تتسيد المكان والمقام والمدينة " إن حضور المدينة بهذه الكثافة يتخطى طبيعتها المكانية إلى مستوى دلالي يجعل منها فضاء للأزمة بكل أبعادها، يبدأ التحول باكتساب المكان شكلاً جديداً، تستعيره الشخصيات من مدن أخرى فتضيع المدينة زيها القديم، إلى درجة أنه يشعر فيها البطل أنه غريب وحيد " [1].

تعد الشخصية المكون السردي المهم و لا يمكن الاستغناء عنه وهي " بمثابة دليل له وجهان أحدهما دال، والآخر مدلول، وهي تتميز عن الدليل اللغوي اللساني من حيث إنها ليست جاهزة سلفا ولكنها تحول إلى دليل فقط ساعة بنائها في النص ..." [2].

ومن هنا يتضح أن الشخصية في العمل الروائي واحدة من اللبنات وأدوات البناء التي لا يمكن الاستغناء عنها.

وشخصية المثقف ، وهي الشخصية الرئيسية التى ركزت عليها رواية المأساة وجعلت أزمة المثقف في الرواية أزمة وجود .

والشخصية الثانية هي شخصية الإرهابي الموظفة في رواية المأساة .

[1] الرواية والعنف ، الشريف حبيلة ، ص 61.
[2] بنية النص السردي من منظور النقد العربي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2000 ، ص51 .



وأنا أرى أن الرواية الجزائرية في التسعينات قد لبست لباس الأزمة وكانت تعمل على القضية الوطنية وقضية المأساة، و اصبح هذا هو الهاجس الأكبر الذي ينبغي الاهتمام به، فأن الروايتين قد رسمتا معالم وملامح المشهد الفسيفسائي للمأساة الوطنية.

أما رواية رأس المحنة لعز الدين جلاوجي تتحدث عن زمنين مختلفين في تاريخ الجزائر، فالأول هو الفترة الاستعمارية التي تميزت بمحاربة المستعمر وإخراجه من أرض الوطن، أما الزمن الثاني فهو فترة ما بعد الاستقلال والتي تميزت بصراع اجتماعي داخل الوطن الواحد إلى ما يسمى بالعشرية السوداء.

كما يمثل صالح الرصاصة محور الزمن في رواية رأس المحنة حيث عاش الزمنين معا، وعانى بسبب ذلك حيث رأى أن القيم الإنسانية والخصال النبيلة راحت تندثر، والواقع الإنساني في تقهقر يوما بعد يوم، إلى درجة أنه أحس أنّ زمنه قد ولّى "كان عليّ أن أموت حين مات الرجال الكبار.. "[1]. حيث أن زمن الثورة كان زمن الشجاعة والوفاء للوطن ومن كبر على هذه العادات والقيم لا يستطيع أن يحيد عنها مهما حاول، أما زمن ما بعد الاستقلال فأهم ما ميزه هو الانهزامية "عليكم اللعنة يا جيل المنهزمين .. تعجزون عن تغيير واقعكم فتحتمون بأعدائكم"[2]. وهو ما يجسد الهوة الموجودة بين جيل الثورة، الذي ينظر إلى جيل الاستقلال وما بعده على أنّهم غثاء كغثاء السيل لا يستطيعون فعل أي شيء لهذا الوطن، وهي نظر صالح الرصاصة إلى ابنه عبد الرحيم والتي يعاني من خلالها واقع المجتمع الجزائري،

[1] رأس المحنة 1+1= 0، عز الدين جلاوجي، دار المنتهى للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط 1، 2001 ، ص70.
[2] المصدر نفسه، ص69.

حيث أن كل جيل يفتخر بمنجزاته ويعتبر الآخر لا شيء في تنافر واضح بين الأجيال.

وقد جاء المكان في رواية عز الدين جلاوجي رأس المحنة، في صورة تناقض (مفارقة) حيث جمع الكاتب بين مكانين متناقضين هما المدينة والريف، فالريف أو القرية معروف ببساطته وسهولة العيش فيه "أشعة الشمس تفتح عينيها في تكاسل.. تتثاءب على الروابي.. منذ لحظات غادر عبد الرحيم والجازيه البيت باتجاه المدينة.. تركت أم الأولاد تحضر الطعام وخرجت أتفقد الأرض التي ازدهت فرحا.. وضحكت بالأعشاب والورود.. كان الجبل يفتح ذراعيه كالعاشق الولهان يضم قريتنا فتنام في حضنه في وله شديد.. "[1]. كما أن أهلها يعيشون في رغد وسعادة لا مثيل لها. "أنا هكذا سعيد وهانئ في قريتي مع زوجتي وأولادي ما بقي لي غير أن أموت هانئا إن شاء الله وأدفن كما أوصى والدي.."[2].

خاتـــمة :

لقد توصلت في خاتمة هذا البحث الى النتائج التالية :

1- إن الحركة الأدبية والروائية لها أثر في الفكر الجزائري ودور مهم.

2- لقد أفادت واستفادت الكتابات الروائية من التحولات التي دارت في الساحة الجزائرية .

3- تعتبر الرواية عمل جاد، وعميق وفيه من النضج والوعي ما يحتمل كل الانفتاح والتعامل والانصهار مع الواقع .

[1] رأس المحنة 1+1= 0 ، عز الدين جلاوجي، ص17.
[2] المصدر نفسه، ص19.



4- ان الرواية في الجزائر قدمت كل التفاصيل المربكة في الذات الإنسانية وهذا ما خولها لتقمص الدور الأساسي في الدفع بالحركة والأدب في الجزائر.

5- لقد كان في موضوعات الرواية الجزائرية ما خلخل الترسبات العالقة، و وقد الذاكرة بموضوع العشرية السوداء.

6- الأداء الفني واللغوي والشعري والبناء اليهكلي للرواية الجزائرية مستواه عال.

7- الفكرة العميقة وليست السطحية نجدها مشكلة وواضحة في الرواية الجزائرية.

8- إن الروائي الجزائري قد قام بسد ثغرة في البناء الفني للرواية.

9- إسهامه في مزيد من التعريف با الأعمال الجزائرية.

10- إبراز دوره في خدمة الأدب في الجزائر، وتثمين دوره في الحركة الأدبية.

المصادر والمراجع:

1- أثر الإرهاب في الرواية ، مخلوف عامر : مجلة عالم الفكر، المجلد 22 ، العدد الأول سبتمبر، د ط، 1999.
2- بنية النص السردي من منظور النقد العربي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط3، .2000
3- جماليات المكان غاستون باشلار، تر . غالب هلسا، المؤسسة الجامعية لدار النشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1987.
4- رأس المحنة 1+1= 0، عز الدين جلاوجي، دار المنتهى للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2001.
5-الرواية والتحولات في الجزائر، مخلوف عامر، منشورات اتحاد كتاب العرب الجزائريين، دمشق 2000.



5- الرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، الشريف حبيلة.

6- سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، بن جمعة بوشوشة : المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس ،ط 2005،1.

7- سيدة المقام، واسيني الأعرج، دار الفضاء الحر، الجزائر، 2001 .

8- الشمعة والدهاليز، الطاهر وطار، منشورات التبين الجاحظية، الجزائر،1995.

9- الصراع بين الحداثة والتقاليد في رواية الشمعة والدهاليز، الطاهر وطار، عبد الناصر مباركية، وزارة الثقافة والاتصال الجزائر 2000.

10- في الأدب الجزائري الحديث _ تاريخا وانوعا وقضايا وإعلام _ عمر بن قينة: ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، د ط، 1995.

11- المأساة الوطنية في الرواية الجزائرية ، قراءة في نماذج من الرواية الجزائرية الجديدة، عبد الحميد هيمة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 29.

12- المتخيل في الرواية الجزائرية، آمنة بلعلى، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.

